

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 15 (2011) : 279 - 293
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

إعادة إنتاج النمط العمراني القديم والعلاقات الاجتماعية التقليدية

دراسة ميدانية في قصر تافيلالت بني يزقن غرداية

محمد قشار و زكري قشار
قسم علم النفس المركز الجامعي غرداية
قسم علم الاجتماع المركز الجامعي غرداية
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

مقدمة

يعتبر تنوع وخصوصية السكن أو الملجئ الذي يأوي إليه الإنسان من أهم العناصر التي تبرز درجة وطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها، وقد شهد جنوب الجزائر عموما ومنطقة ميزاب بالخصوص نماذج للعمران تظهر تفوق الإنسان الميزابي في عملية التكيّف مع ظروف البيئة الصحراوية من خلال بنائه لقصور وادي ميزاب التي تستجيب لخصوصياته الدينية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية.

من جهة أخرى نجد أن الكثير من علماء التاريخ والهندسة والعمران والمعرفة قد عالجوا مواضيع العمران والهندسة المعمارية بعمومية مطلقة دون الأخذ بعين الاعتبار العلاقة بين التنظيم الفيزيائي والتنظيم الاجتماعي لمجتمع ما، ونتيجة لذلك قلما أعطى تخصص الهندسة المعمارية الأهمية والعناية الكافية بالإنسان ومحيطه الاجتماعي أو بالمتغيرات الاجتماعية والثقافية والنفسية، فقد اقتصر نشاط المهندس في العمل التقني الفني والجمالي المحض، صحيح أن مكان نشاط المهندس هو المجال إلا أنه لا يعتبره مجالا انثربولوجيا يؤلف موضوع دراسة مهم، كما هو الحال في العلوم الإنسانية التي تبحث جاهدة عن رموز الأشياء والظواهر، حيث لا يعني المجال بالنسبة إليها الفضاء ولا الفراغ، بل يقترب من المكان ومن الحيز المنظم والموجه والحامل للمعنى.

من هنا جاءت الدعوة التي بدأت متأخرة بعض الشيء لكنها دعوة فعلية تدعو إلى الاهتمام بسوسيولوجيا هندسية تدرك معنى القيم والرموز والأبعاد والدلالات، وتجمع بين النظرية والتطبيق لفتح المجال أمام تجربة جديدة تخص الحياة اليومية للفرد، حيث يعمل حاليا علماء النفس والتاريخ والاجتماع والعمران والأنثربولوجيا والهندسة في أوروبا وأمريكا في مسيرة منسجمة ومتكاملة

لدراسة الحياة اليومية للفرد، وأين يتركز سلوكه اليومي، والذي يجمع ما بين العام والخاص وبين الذاتي والجماعي.

فميدان تطبيق الدراسة الحالية هو قصر تافيلالت في بني يزقن، ويعتبر تجربة فريدة في ميدان السكن وتحديدا السكن الصحراوي، حدثت في وادي ميزاب وهي محاولة إعادة بناء النمط العمراني القديم المتمثل في نمط القصور القديمة لوادي ميزاب، حيث حاول القائمون عليه من خلال إعادة بناء النمط العمراني القديم أن يهتموا بالإنسان وبالمتغيرات البيئية الاجتماعية والثقافية والنفسية، التي تنجر عن المجال أو بالأحرى الاهتمام بأنثربولوجيا المجال، أي الاهتمام بالعلاقة بين التنظيم الفيزيائي والتنظيم الاجتماعي للمجتمع، بمعنى آخر الاهتمام بالعلاقة بين الإنسان كفاعل اجتماعي ومحيطه العمراني، إضافة لاهتمامه بالهندسة العمرانية التي تهتم بالمكان.

لذلك فإن هذه الدراسة تسعى للاقتراب من الطرح السوسيولوجي الذي يجيب عن إشكالية تتعلق أساسا بموضوع السكن في تافيلالت الجديدة وهذا بتسليط الضوء على العوامل التي أدت بالأسر للانتقال إلى تافيلالت، ثم هل حقق هذا النمط من العمران تطلعات الأسر واحتياجاتها السكنية والإجتماعية والنفسية، وأخيرا ما هو مصير العلاقات الاجتماعية التقليدية بعد الاستقرار في قصر تافيلالت الجديدة، وهذا من خلال الملخص الذي سوف نقدمه حول هذه الدراسة.

إشكالية البحث

تعرف البلدان الغربية في الوقت الراهن انتشارا مطلقا للظاهرة الحضرية أو المدنية المفرطة تمخضت عنها عدة إفرازات تمثلت أساسا في انتشار ظواهر خطيرة كالإجرام والإنتحار والفردية والعزلة التي يعاني منها الإنسان في الوسط الحضري، حيث أفرغت المدن من محتواها الاجتماعي والنفسي واستبدل بانتشار مظاهر البيروقراطية المتمثلة في العلاقات الرسمية التعاقدية وغياب الروح الجماعية لدى الأفراد، لذلك فالتفكير جار حول إعادة الاعتبار للعلاقات الأولية في الأوساط الحضرية في هذه الدول، هذه العلاقات التي تقوم على مبادئ التعاون والتضامن وانتشار الروح الجماعية مقابل الفردية والعزلة التي تعتبر من مخلفات المدنية الغربية.

فالمسكن العربي ومنه الجزائري كان متميزا على صعيد فن العمران لكن هذا التميز لم يدم طويلا إذ خضع لتغيرات حدثت في المجال العام وتأثر بها مباشرة، ولم يصمد حتى في الحفاظ على بعض من تراثه، فاختفت من المسكن نفحته التقليدية ممهدا لها غياب التراث، إضافة إلى التخلي عن المواد التقليدية لصالح الإسمنت المسلح والمواد المصنعة مسبقا ولتقنيات التبريد والتدفئة، إنها تقنيات حديثة استعملت بشكل فوضوي وبدون إدراك لأبعادها، ونظر بعدائية إلى المحيط الطبيعي، واختفت المدينة العربية وبالتالي الجزائرية كوحدة وككل حيث تترجم القيم

الاجتماعية المشتركة والثقافية الجماعية.[1]

فالسكن الحديث عرف انتشارا كبيرا في منطقة ميزاب حيث يجسده أساسا البناء الذاتي الحديث الذي يعبر عن ثقافة وقيم جديدة تأثر بها الفرد الميزابي، بحيث يمنح هذا النمط من السكن لصاحبه فرصة اختيار مساحة وهندسة المسكن فجاءت هذه المساكن انعكاسا مباشرا للقيم الجديدة التي تأثر بها الفرد الميزابي، فقد جاءت هذه المساكن مغايرة لنمط المسكن التقليدي في جانبه الهندسي وفي توزيع الفضاءات داخل المسكن وتغيّر أبعادها، وأيضا من جانب الشكل الخارجي للمساكن التي تعرف أحجاما كبيرة وطوابق عديدة وفتوحات كثيرة، لذلك فإن هذا النمط الجديد لا يتلاءم أولا مع الظروف المناخية المحلية المعروفة بالمناخ الصحراوي أو القاري الجاف، وثانيا لا يتلاءم مع المحيط الاجتماعي المحافظ، هذه الوضعية أدت إلى أزمة سكنية أتت على الكيف لا على الكم، حيث تراجعت قوة البناء الاجتماعي والثقافي، وتراجعت أيضا قوة تأثير الجانب الديني الذي كان الإنسان القديم في هذه المنطقة يحتكم إليه عند الإقدام على عمل أي شيء، ومنها بناء المساكن.

انطلاقا من هذا الواقع ظهرت محاولات جادة تسعى لبناء أقطاب ومحيطات سكنية جديدة تسعى من خلال ذلك إعادة بناء النمط العمراني القديم مع تكييفه مع بعض متطلبات الحياة العصرية، هدفها من وراء ذلك دمج الحاضر في الماضي وإعادة إنتاج الممارسات السسيو– ثقافية للمجتمع الميزابي ودمجها ضمن البناء الفيزيقي للمدينة، من خلال إعطاء دور أكبر لقيم التضامن والتعاون والتكافل الاجتماعي ومنبعها الأساسي هو الدين الحنيف، تلك القيم التي تعطي للتجمعات السكنية قيمتها المعنوية والرمزية وتدخل ضمن مكونات شخصية الإنسان، حيث تصبح حينها انعكاسا مباشرا لتلك الشخصية.

انطلاقا من هذا الواقع يمكن أن نطرح مجموعة من التساؤلات حول هذه المحاولات التوفيقية كما يأتي:

1. **ما هي دوافع توجه الأسر نحو هذا النمط العمراني الجديد؟**

أي البحث عن الأسباب والدوافع التي جعلت الأسر تختار السكن في تافيلالت الجديدة.

2. **هل حقق هذا النوع من المساكن متطلبات الأسر العصرية؟ وهل عكس ذاتها وشخصيتها؟**

أي محاولة التعرف عما إذا كان المسكن في تافيلالت ملائم للأسر سواء من حيث الحجم، والشكل الهندسي بصفة عامة، وأيضا من حيث تحقيق الانتماء الاجتماعي والراحة النفسية، ومتطلبات الحياة العصرية.

3. هل اهتم هذا النمط من العمران بإعادة بناء النمط العمراني القديم فقط، أم امتد ذلك إلى اهتمامه أيضا بإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية التقليدية؟

أي محاولة التعرف عما إذا كان نمط المسكن في تافيلالت اهتم بإعادة بناء الشكل الفيزيقي للنمط القديم فقط، أم امتد ذلك إلى إعادة الاعتبار للعلاقات الاجتماعية القرابية.

فرضيات البحث

-الفرضية الأولى: الإمكانيات الاقتصادية للأسر وموقعها الاجتماعي والتحفيزات التي تحصلت عليها كان وراء توجهها نحو السكن في تافيلالت الجديدة .

-الفرضية الثانية: استطاع هذا النمط من المساكن أن يحقق متطلبات الأسر من السكن، ومن الانتماء الاجتماعي والراحة النفسية.

-الفرضية الثالثة: استطاع هذا النمط من العمران أن يعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية التقليدية من خلال إعادة بناء النمط العمراني القديم.

منهج البحث

باعتبار مناهج البحث في علم الاجتماع متكاملة ومتداخلة فقد يصعب الفصل بينها، لذلك فقد اعتمدت هذه الدراسة على أربعة مناهج مختلفة من أجل الإلمام بكل جوانب الموضوع، كما يأتي:

1. المنهج الوصفي(2): اعتمد في وصف الجانب الفيزيقي للقصر من خلال وصف الإطار المبنى أي وصف هندسة وموقع وكيفية توزع السكنات داخل قصر تافيلالت، كما يشتمل الوصف أيضا على الجانب الاجتماعي من خلال وصف العلاقات الاجتماعية التي تسود داخل القصر كوصف قيم التضامن والتعاون والتكافل الاجتماعي بين السكان.

2. منهج دراسة الحالة(3): حالة الدراسة هي قصر تافيلالت الجديدة، حيث تم التركيز على هذه الحالة للوقوف على ما إذا كان هذا النمط من العمران استطاع أن يعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية التقليدية كونه يشبه إلى حد كبير نمط القصور القديمة في وادي ميزاب.

3. المنهج التاريخي(4): نحاول من خلال هذا المنهج أن نتتبع مسار العمران في وادي ميزاب منذ القديم إلى يومنا هذا للتعرف على التحولات التي طرأت عليه من أجل الوصول إلى ظاهرة الدراسة وهي قصر تافيلالت وكيف ظهر ثم كيف حاول أن يحافظ على النمط العمراني القديم.

4. المنهج المقارن(5): استخدمنا هذا المنهج في البحث من أجل إجراء بعض المقارنات بين النمط العمراني الذي ينتشر في قصور وادي ميزاب ونوعية العلاقات الاجتماعية التي تسود

داخله، وبين نمط العمران والعلاقات الإجتماعية في قصر تافيلالت من أجل الوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بين النمطين وبين نوعي العلاقات الاجتماعية.

أهداف البحث

يمكن أن نلخص أهداف هذا البحث في النقاط التالية:

1. إبراز خصائص ومميزات النمط العمراني الحديث شكل القصور من أجل مقارنتها مع مميزات وخصائص النمط العمراني القديم للوقوف على مدى التوافق بينهما.

2. التعرف على الدوافع والأسباب التي أدت بالسكان لاختيار مثل هذا النمط من العمران كونه يشبه إلى حد كبير نمط القصور القديمة في ميزاب.

3. الوقوف على نوعية العلاقات الاجتماعية التي تسود داخل هذا النمط من العمران للتعرف عما إذا كانت إعادة إنتاج النمط العمراني القديم أدت إلى إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية التقليدية.

أهمية موضوع البحث

تكمن أهمية أي بحث علمي في الشيء الذي يضيفه إلى التراث العملي وما مدى قدرته على تقديم الجديد والمشاركة في حل المشكلات العالقة، لذلك فقد تضمن هذا البحث أهمية علمية بالإضافة إلى كونه دراسة أكاديمية فإنه سوف يضيف شيئا جديدا للتراث العلمي حول موضوع تأثير البيئة على الإنسان وخاصة البيئة الصحراوية التي هي محل اهتمام هذا البحث، وهذا الملتقى الدولي الأول حول الإنسان والصحراء الكبرى، من خلال الاهتمام بالعلاقة الموجودة بين التنظيم الفيزيائي والتنظيم الاجتماعي لمجتمع الدراسة.

تعريف متغيرات البحث

1- العلاقات الاجتماعية: "هي نموذج للتفاعل الاجتماعي بين شخصين أو أكثر ويمثل هذا النموذج أبسط وحدة من وحدات التحليل السوسيولوجي، كما ينطوي على الاتصال الهادف والمعرفة المسبقة بسلوك الشخص الآخر".[(6)]

ونقصد بالعلاقات الاجتماعية التقليدية ذلك النمط من العلاقات الذي يسود في قصور وادي ميزاب، حيث تتميز هذه العلاقات بقوة البناء الاجتماعي الذي يقوم على التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي من خلال التنظيم الاجتماعي للميزابيين.

2- النمط العمراني القديم: يتمثل هذا النمط أساسا في قصور وادي ميزاب ويقتضي هذا النمط وجود المسجد في أعلى نقطة في المدينة ثم تنحدر بعده المساكن على شكل مخروط بحيث تكون هذه المساكن ملتصقة ومتراصة مع بعضها البعض مما يجعل الشوارع ضيقة وملتوية

في بعض الأحيان ولا تزيد وظيفتها على المرور كما تحاط المساكن في هذا النمط من كل الجوانب بسور يحتوي على عدد معين من المداخل بها أبراج للمراقبة والإغاثة في بعض الأحيان وتغلق هذه المداخل في أوقات معينة.

3- النمط العمراني الحديث (القصر): يتمثل في التجربة التي عاشها المجتمع الميزابي في الآونة الأخيرة وهي محاولة إعادة بناء النمط العمراني القديم، وتتمثل هذه التجربة في قصر تافيلالت الجديدة، حيث حاول هذا النمط من العمران أن يعيد بناء العناصر العمرانية التي ميزت القصور القديمة، فنجد أن الشكل الخارجي للمساكن يشبه إلى حد كبير شكلها في النمط القديم من حيث الشكل الخارجي وتوزيع الفضاءات داخلها وفي تلاصقها، كما نجدها محاطة بسور يحتوي على مداخل بها أبراج، إلا أنه عرف تغييرا طفيفا من حيث موقع المسجد من القصر الذي لم يأخذ المركز، وتميزت الشوارع باتساعها تلبية لحاجة ملحة وهي مرور وسائل النقل وخاصة السيارة.

الدراسة النظرية

سنتطرق فيما يلي إلى ملخص البحث في العناصر التالية:

1- الاتجاهات النظرية الحديثة:

1. المداخل النظرية للتحضر:

يقصد بها تلك النظريات التي تبحث في أسباب ظهور المدن ونموها، بحيث أن مسألة النمو الحضري تفترض محاولة تتبع المراحل التي نمت فيها ظاهرة التحضر، والعوامل التي أثرت على طبيعة هذا النمو في كل مرحلة، ومحاولة تبيان الأبعاد التاريخية للنمو الحضري من حيث اتجاهاته ومظاهره وعوامله، ونميز هنا بين أربعة مداخل وهي:[7]

- **المدخل الديموغرافي.**
- **المدخل الاقتصادي.**
- **مدخل القوة أو المدخل السياسي.**
- **المدخل التنظيمي.**

إضافة إلى المداخل السابقة التي تفسر ظاهرة التحضر ونمو المدن لا يمكن أن نغفل أثر العوامل الدينية والجغرافية، كأن تظهر المدن لأسباب دينية في الأماكن المقدسة أو لأسباب جغرافية كظهور بعض المدن على ضفاف الأودية أو الأنهار أو البحار.

2. الاتجاهات النظرية الحضرية:

اختلفت محاولات تصنيف النظريات السسيولوجية الحضرية من حيث طبيعتها هل هي

استنباطية أم استقرائية ومن حيث مستوى التحليل ومن حيث المتغيرات التفسيرية التي تؤكد عليها كل نظرية، إلا أن مختلف التصنيفات تميز بين خمس اتجاهات نظرية حضرية وهي:(8)

- **الاتجاه الإيكولوجي.**
- **النظرية النفسية الاجتماعية.**
- **اتجاه الثقافة الحضرية.**
- **الاتجاه التكنولوجي.**
- **الاتجاه القيمي.**

2- التحضر وسياسة السكن في الجزائر:

تناول هذا العنصر التحضر في الجزائر حسب ما أفرزته المراحل التاريخية والمحطات السياسية التي مرت بها الجزائر، ثم ما هي الأدوات التي تبنتها الدولة من أجل تنظيم هذا التحضر وجعله يسير بطريقة عقلانية وقانونية، وتطرق إلى السياسة التي انتهجتها الجزائر في ميدان السكن باعتباره عنصرا مهما من عناصر التحضر، وخاصة الأشكال المختلفة للسكن التي انتهجتها الجزائر في الآونة الأخيرة.(9)

1. التحضر في الجزائر

التحضر في الجزائر ناتج عن الهجرة والحركة الجغرافية للسكان في أغلب الأحيان، ورتبط بفترات تاريخية متميزة شكلت محطاته الرئيسية، وانعكست على البناء الاجتماعي والإيكولوجي للمدن الجزائرية.

فالمحطات التاريخية والسياسية تعتبر أهم وأكبر مؤثر في التحول من الريف إلى الحضر مثل ظروف الثورة التحريرية، والفترة الأولى من الاستقلال، إضافة إلى الظروف الناجمة عن التحول من النظام الاشتراكي إلى نظام اقتصاد السوق.

أ- الفترات التاريخية للتحضر في الجزائر:(10)

- **فترة الاحتلال إلى غاية 1954.**
- **فترة الثورة التحريرية 1954- 1962.**
- **الفترة الأولى من الاستقلال 1962- 1967.**
- **فترة التنمية الصناعية 1967- 1989**
- **فترة التحول من النظام الاشتراكي إلى نظام اقتصاد السوق ابتداء من 1989.**

ب- مراحل النمو الحضري للمدن الجزائرية بعد الاستقلال:

- **النمو الحضري للمركز.**
- **النمو الحضري للضواحي.**
- **النمو الحضري للأطراف.**

ج- بعض انعكاسات التحضر في الجزائر:

- **أزمة السكن الحضري.**
- **تدهور مستوى تجهيز المدن بالمرافق والخدمات.**
- **تناقص كمية المياه الصالحة للشرب في المدن.**
- **اكتساح التوسع العمراني للأراضي الزراعية.**

2. أدوات التهيئة العمرانية[11]

أ- المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (PDAU).

ب- مخطط شغل الأراضي (POS).

أدوات التدخل في النسيج الحضري:

يتم التغيير في النسيج العمراني من طرف الأشخاص أو الهيآت في القطاعين الخاص والعام بواسطة وثائق إدارية وقانونية تسلمها البلدية وبمصادقة مديرية التعمير والبناء على مستوى الولاية وأهم هذه الأدوات:

- **رخصة البناء.**
- **رخصة الهدم.**
- **رخصة التجزئة.**

3. سياسة السكن في الجزائر

تطرق هذا العنصر إلى سياسة السكن التي انتهجتها الجزائر منذ الاستقلال من خلال الوقوف على أهم المحطات التي تشكل هذه السياسة، والنتائج المتمخضة عنها، ومنها:

- **وضعية قطاع السكن قبل الاستقلال.**
- **وضعية قطاع السكن غداة الاستقلال 1962- 1966.**
- **مرحلة المخطط الثلاثي 1967- 1969.**
- **مرحلة المخطط الرباعي الأول 1970- 1973.**
- **مرحلة المخطط الرباعي الثاني 1974- 1977.**

- **المخطط الخماسي الأول 1980– 1984.**
- **المخطط الخماسي الثاني 1985– 1989.**
- **مرحلة الدخول في اقتصاد السوق ابتداء من 1990.**
- **مرحلة 1995– 2000.**
- **مرحلة 2001– 2004.**
- **توقعات الإنجاز ما بين سنتي 2005– 2009.**

3- ميزاب العمران والممارسة الاجتماعية:[12]

1. **الموقع الجغرافي لشبكة ميزاب.**
2. **الطبيعة الفكرية والعقائدية.**
3. **المدن السبع في وادي ميزاب: العطف، بنورة، غرداية، بني يزقن، مليكة، القرارة، بريان.**
4. **الهيكلة الداخلية للقصر: المسجد، المنزل، السوق، الطرقات، الواحة.**

5. الحياة الاجتماعية في وادي ميزاب:[13]

- **مجلس العزابة**
- **مجلس العشيرة.**
- **مجلس إِمَصُورْدَان أو المكاريس.**
- **المجلس الديني للنساء.**
- **مجلس عمي سعيد.**
- **مجلس باعبد الرحمان الكرثي.**

الدراسة الميدانية

أدوات البحث: اعتمد البحث في جمع المعلومات على أداتين أساسيتين هما:

1. الملاحظة: وهي على نوعين.

- **ملاحظة الشكل الهندسي لقصر تافيلالت، حيث لاحظنا أن هناك تشابه كبير بينه وبين النمط العمراني القديم أي نمط القصور حيث نجد المساكن متلاصقة ومتراصة مع بعضها البعض مكونة بذلك شوارع ضيقة نوعا ما وأخرى واسعة تسمح بدخول السيارات وهي الميزة الجديدة التي يتميز بها النمط الجديد، كما لاحظنا أن المساكن محاطة بسور من كل جوانبها ويحتوي السور على بعض المداخل تسمى بالأبراج لأنها كانت تستعمل في القديم للحراسة، لذلك فإن هذه الملاحظة تجعلنا نقول بأن نمط البناء في قصر تافيلالت هو نفسه في القصور القديمة مع إضافة بعض متطلبات الحياة العصرية.**

- **أما الجانب الآخر من الملاحظة هو ملاحظة الممارسة الاجتماعية ومدى قوة البناء الاجتماعي داخل قصر تافيلالت وهذا من خلال ملاحظتنا لبعض الممارسات الاجتماعية كالزيارات والحملات التطوعية وغيرها من السلوكات التي تعبر عن متانة الروابط الاجتماعية التي استطاع هذا النمط العمراني أن يعيد إنتاجها ويثمنها.**

2. الاستبيان:

إضافة إلى اعتماد الملاحظة كأداة للبحث فقد اعتمد البحث أيضا على استمارة الاستبيان لما لها من دور أساسي في البحوث الوصفية حيث تقدم وصفا دقيقا حول حالة المبحوثين، لذلك فقد احتوى استبيان البحث في صيغته النهائية على (38) ثمان وثلاثين سؤالا كلها عبارة عن أسئلة مغلقة تصف مباشرة حالة المبحوثين (الاجتماعية والاقتصادية والتكيف وظروف الحياة والعلاقات الاجتماعية الفردية والجمعية...).

وقد تم توزيع الاستمارات بالاستعانة بجمعية أميدول وهي جمعية القصر تمثل السكان لدى الجهات الرسمية وتدخل ضمن الهيئة المسيرة لشركة تافيلالت تحت اسم اللجنة الاجتماعية، وقد تم استرجاع 100 استمارة وهو حجم العينة، وقد تمت عملية التفريغ والمعالجة باستخدام برنامج SPSS.

خصائص عينة البحث

إن اختيار العينة بدقة وعناية له علاقة مباشرة بنجاح أو فشل البحث، ومجتمع البحث يتمثل في أساسا في أرباب الأسر من قاطني قصر تافيلالت الجديدة، وقد اختير منهم وبطريقة عشوائية عينة تتكون من 100 مبحوث، وهذا لإعطاء نفس الفرصة لكامل مجتمع البحث.

وتتألف عينة البحث من 89 مبحوث من جنس الذكور و11 مبحوث من جنس الإناث، وقد جاءت نسبة الذكور أكبر من نسبة الإناث لأن الاستمارة توجه أساسا لرب الأسرة وهم الأغلبية في القصر مقارنة بالإناث، ثم إن المجتمع الميزابي مجتمعا أبويا بحيث يرجع القرار الأخير للرجل في تسيير شؤون منزله.

التعريف بمكان إجراء البحث

يقع قصر تافيلالت إلى الجنوب من قصر بني يزقن ويبعد عنه حوالي 3 كلم، ويلحق به إداريا، يقع في منطقة جبلية ذات متوسط انحدار 13% وتقدر مساحته الإجمالية بِ 13,76 هكتار تمت تجزئته إلى 808 قطعة أرض بكثافة قدرها 72 قطعة في الهكتار.

تقدر عدد المساكن في تافيلالت حتى سنة 2004 حوالي 740 مسكن، وتم إنجازها بين سنتي 2000 و 2004، وأغلب سكانه من مدينة بني يزقن.

أهداف مشروع تافيلالت:

- **الأهداف الاجتماعية:**

- الحفاظ على معاني وقيم التماسك الاجتماعي.

- المحافظة على المؤسسات الاجتماعية التقليدية من خلال تفعيل دورها في تسيير القصر.

- القضاء على أزمة السكن، وتوفير السكن لكل الطبقات الاجتماعية.

- **الأهداف الثقافية:**

- توطين العناصر حسب قيمتها الرمزية (كالبئر والبرج).

- المحافظة على التوازن بين النمط العمراني القديم والحديث.

- **الأهداف التقنية:**

- إيجاد هندسة بيو مناخية واستعمال مواد البناء المحلية في البناء كالحجارة.

- إيقاف زحف الإسمنت على المساحات الخضراء.

إضافة إلى المساكن فإن قصر تافيلالت يحتوي على بعض المنشآت العامة منها المسجد، المدرسة القرآنية، الإكمالية، مقر لجمعية رعاية المتخلفين ذهنيا، عيادة، محلات تجارية وأخرى مهنية، مقرات لجمعيات...



قصر بني يزقن قصر تافيلالت

الصورتان رقم: 1 و2 تبينان أفضلية اختيار نمط القصر

نتائج الدراسة:

بناء على عرض وتحليل ومناقشة المعطيات التي تم جمعها من خلال استبانة البحث، توصلنا إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات كما يأتي:

- من دوافع توجه الأسر للسكن في تافيلالت الجديدة هي وضعيتها السكنية السابقة، بحيث أن معظم الأسر كانت تعاني من ضيق المسكن، لأنها تسكن مع الآباء أو مع الأقارب في مساكن لا تتسع في غالب الأحيان لجميع أفراد العائلة خاصة إذا كانت تحتوي عددا كبيرا من الأسر النووية، وقد نجم عن هذه الوضعية مشاكل في العلاقات وصعوبة في إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية، والأمن الاجتماعي، مما أدى بأرباب الأسر إلى التفكير في الانفصال عن الأسرة الممتدة والاستقلال بمسكن فردي، وجاءت فكرة تافيلالت لتجسد هذه الرغبة.

كما إن الإمكانيات المادية المتوسطة والمتواضعة أحيانا للأسر المبحوثة سمحت لها

بالحصول على مسكن لائق في تافيلالت، وهو العامل الذي راهنت عليه الشركة المنجزة للمشروع لتحقيق الهدف من إنجاز المشروع وهو القضاء ومعالجة بعض المشاكل الاجتماعية، فكانت أسعار المساكن بهذا القصر مشجعة، حيث سعت إلى تقليص سعر المسكن حتى يتسنى لجميع الشرائح في المجتمع الحصول على مسكن محترم.

كذلك من العوامل التي جعلت أرباب الأسر يتجهون للسكن في تافيلالت، هي التسهيلات والامتيازات التي تحصل عليها أرباب الأسر كالإعانة المالية المقدمة من طرف الدولة، كون هذا المشروع السكني ينتمي إلى نمط السكن التساهمي، الذي يقتضي حسبه أن تتحمل الدولة جزء من تمويل المسكن، إضافة إلى طريقة دفع مستحقات المسكن التي تمت بالتقسيط.

- ونظرا لكون الأسر قد اختارت السكن في تافيلالت الجديدة بمحض إرادتها وبرغبة منها، فيمكن أن نقول في هذه الحالة أن نمط البناء الذي تميز به قصر تافيلالت الجديدة استطاع أن يحقق متطلبات الأسر من حيث السكن، كما استطاع أن يحقق لها ذاتها وشخصيتها من خلال:

نمط البناء الذي تميز به الشكل الخارجي للقصر الذي يشبه إلى حد بعيد القصور القديمة، كما إن المساكن في تافيلالت احتوت على عدة طوابق وعدد معتبر من الغرف والعناصر الأخرى داخلها، إضافة إلى احتوائها على فناء تلجأ إليه الأسرة في فصل الحر، فهي بذلك استطاعت أن تحقق متطلبات وتطلعات الأسر المتمثلة في الحصول على مسكن كبير وواسع يتوافق مع عدد أفرادها ويجعلها تتمتع بالفسحة والاتساع خاصة إذا علمنا أن معظم العائلات كانت تفتقد إلى هذه الميزة في مساكنها السابقة قبل قدومها إلى تافيلالت.

كما استطاع السكن في تافيلالت أن يحقق ذاتية وشخصية وثقافة العائلات المستفيدة منه، كونه كان انعكاسا لقيمها وعاداتها وعقيدتها، وهذا من خلال المشاركة المباشرة للمستفيد في عملية تشييد منزله حيث يخول له ذلك إضفاء بعض مميزاته وخصائصه الذاتية على مسكنه، وأن يجعله ضمن شخصيته وثقافته حتى يشعر بالراحة والطمأنينة وهو داخل مسكنه ولا يشعر بالغربة والانعزال داخله، فالمسكن في تافيلالت كان انعكاسا مباشرا لثقافة وشخصية وخصوصية المستفيدين منه.

- انطلاقا من هذا الواقع نستطيع القول بأن النمط العمراني لقصر تافيلالت استطاع أن يعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية التقليدية من خلال إعادة بنائه للنمط العمراني القديم وهذا من خلال:

الهندسة الداخلية للمساكن التي روعي فيها التفكير في معنى الداخل وهو علاقة صاحب المنزل بأسرته والتفكير أيضا في معنى الخارج وهو علاقة صاحب المنزل بالمحيط الخارجي،

وهذا من خلال احتواء جل المساكن على أماكن لاستقبال الضيوف، وبالتالي يسهل على السكان إقامة علاقات اجتماعية أساسها التعاون والتضامن وصلة الرحم.

كما أن محافظة المبحوثين على علاقاتهم مع جيرانهم دليل على مساعدة هذا النمط العمراني على الحفاظ على العلاقات الاجتماعية من خلال تشجيع إقامة علاقات الجوار، إضافة إلى إقامة علاقات الرحم بين الأقارب الذين يسكنون معا في تافيلالت وهذا من خلال الزيارات المتبادلة وقضاء المناسبات في جو عائلي حيث يزيد ذلك في تقوية العلاقات الاجتماعية ويؤدي أيضا إلى تقوية الضمير الجمعي أو الضبط الاجتماعي.

كما إن الانتقال إلى تافيلالت لم يُلغ العلاقات الاجتماعية التقليدية بين الأسر المقيمة في هذا القصر وبين عائلاتها الأصلية أو الأم المقيمة في القصر القديم، بل أدى إلى تقويتها من خلال الزيارات المتبادلة بين العائلات خاصة في المناسبات الدينية والاجتماعية التي حافظت على التواصل بين العائلتين من خلال قضاء هذه المناسبات بشكل جماعي.

الخاتمة:

في الأخير يمكن أن نقول بأن تجربة تافيلالت الجديدة انطلاقا من هذه الخصائص اعتبرت تجربة إنسانية، يمكن تعميمها عبر كامل التراب الوطني طالما أن هناك متطوعين، وروح التضحية والتضامن الاجتماعي في كل مكان، يكفي توجيهها نحو الطريق الصحيح للاستفادة منها واستثمارها لصالح السكان أنفسهم.

الهوامش:

(1) رجاء مكي طبارة، مقاربة نفس اجتماعية للمجال السكني، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، **1995**، ص**101**.

(2) مصطفى ربحي عليّان، عثمان محمد غنيم، مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، دار صفاء، عمّان، **2000**، ص ص**42**، **43**.

(3) مدحت أبو النصرة، قواعد ومراحل البحث العلمي، مجموعة النيل العربية، القاهرة، **2004**، ص**137**.

(4) أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، **1996**، ص**305**.

(5) محمود عبد الحليم منسى، سهير كامل أحمد، أسس البحث العلمي في المجالات النفسية والاجتماعية والتربوية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، **2002**، ص**465**.

(6) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، **2004**، ص**437**.

(7) السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري مدخل نظري، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، **2003**، ص**105**.

(8) السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق، ج$_2$، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص**37**.

(9) محمد بومخلوف، التحضر، دار الأمة، الجزائر، **2000**، ص**65**.

(10) بشير التجاني، التحضر والتهيئة العمرانية بالجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2000**، ص**19**.

(11) الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، السنة **28**، العدد **26**، **01** جوان **1991**، الجزائر، ص**975**.

(12) محمد التريكي، خالد بوزيد، المعمار والممارسة الاجتماعية ميزاب بين الماضي والحاضر، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة والتعمير، تونس، **1989**، ص**16**.

(13) بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية، **1992**، ص**13**.